



رحم الله أبا حسان ، عندما غادر (الشارقة) أو أبعد عنها - والأسباب معروفة - ذكرته لإحدى الجمعيات الإسلامية لتنستفيد من علمه وتجربته ، ولم أكن أعلم أن المرض قد نشب في جسمه ، وأنه رجع إلى الطائف التي عاش فيها أكثر حياته العلمية ليغادرنا ويدفن فيها ، ولم يعد إلى بلدته في سوريا (رنكوس) هكذا قدر على كثير من علماء سوريا ودعاتها الذين غادروها في السنتين من القرن الماضي ، قدر عليهم أن لا يعودوا إليها خاصة في أواخر أعمالهم ليعيشوا بين أهليهم وأقاربهم وإخوانهم ، وربما يكون هذا شيء طبيعي في الظروف التي عاشها ويعيشها الشعب السوري الذي كتب عليه أن يبتلى بفرقة باطنية لا تعرف معنى الإنسانية فضلاً أن يكون فيها شيء من العروبة أو الإسلام .

العالم يستطيع أن يبيث علمه في أي مكان يجد فيه الفرصة المناسبة ، هكذا كان بعض العلماء السابقين يرحلون من بلد ليس فيه استقرار إلى بلد آخر يجد فيه الأمان كما حدث للإمام الجوياني عندما غادر نيسابور واستقر في مكة وبقي فيها أربع

سنوات ولذلك لقب ب (إمام الحرمين) والذين غادروا سوريا من العلماء والدعاة كان ذلك بعد أن تحكم العسكر والباطنيون بمقدرات البلد ، و لن تناح الفرصة للعالم العامل المستقل أن ينشط للعلم والعمل عند هذا النظام ، وإن خروجهم من بلد يتحكم فيه أرانب الناس ليس تهرباً من القيام بالواجب وحمل المسؤولية ، فقد أفادوا في البلاد التي استقروا فيها وكان لهم الأثر المحمود في ذلك . بالأمس غادرنا الدكتور محمد أديب صالح والشيخ محمد لطفي الصباغ وغيرهم وأمثالهم تفرقوا في البلاد فكان لهم تلامذة نهلوا من علمهم وتآدواه بأدابهم .

في عصور المحن والابتلاءات ينتقل العلماء حيث يكون لهم الأثر في تثبيت الناس واعتصامهم بدينهم ، ويلجأ الناس إليهم في الملتمات كما وقع في الأندلس في بداية تسلط الإسبان على المدن الإسلامية وكما جاء في سيرة ابن رشد (الجد) وابن حبيش وأبي الربيع الكلاعي اللبناني صاحب كتاب (الاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخالفة) وقد شارك رحمه في الدفاع عن المدن الإسلامية واستشهد في معركة (أنيشة) عام 634 هـ .

رحم الله أبا حسان كم كان متواضعاً، فهو دائم الاعتذار بالتقدير وبقلة بضاعته، ولكن تحقيقاته ومؤلفاته تدل على فقه وعلم وبصيرة. كنت أعلم منه ذلك فألححت عليه لتحقيق كتاب (حجة الله البالغة) للعلامة الهندي ولي الله الدهلوi، وذلك لمعرفتي بأهمية الكتاب وأنه من المؤلفات النادرة في العصر الحديث التي تتحدث عن أسرار الشريعة ولمعرفتي بصلة الشيخ أبي حسان بالكتاب وبمدرسة الدهلوi، وطلبت منه مع التحقيق التعليق خاصة أن الدهلوi رحمه الله له عبارات غامضة أحياناً هي بحاجة إلى توضيح وبيان، استجاب رحمه الله وحقق الكتاب ولكن دور النشر لم تكن ايجابية معه ثم نشر الكتاب والحمد لله. وللشيخ مؤلفات كثيرة أشهرها رسالة التحضر لـ نـيلـ الـدـكتـورـاهـ منـ الأـزـهـرـ بـعـنـوانـ (أـصـوـلـ الـعـلـاقـاتـ الـدـولـيـةـ)ـ فيـ فـقـهـ الإـلـمـامـ مـحـمـدـ بـنـ الـحـسـنـ الشـيـبـانـيـ)ـ وإنـ إـبـرـازـ فـقـهـ هـذـاـ الإـلـمـامـ هـوـ بـحـدـ ذاتـهـ منـقـبةـ عـظـيمـةـ،ـ فـكـيـفـ إـذـاـ كانـ المـوـضـوـعـ هـوـ الـعـلـاقـاتـ الـدـولـيـةـ الـتـيـ يـعـتـبـرـ هـذـاـ الإـلـمـامـ اـبـنـ بـجـدـتـهـ وـمـؤـسـسـهـ،ـ وـتـقـدـيرـاـ لـجـهـوـهـ فـيـ هـذـاـ المـجـالـ اـحـتـفـىـ بـهـ نـفـرـ مـنـ عـلـمـاءـ الـغـرـبـ وـأـسـسـوـاـ جـمـعـيـةـ (ـجـمـعـيـةـ الشـيـبـانـيـ لـلـحـقـوقـ الـدـولـيـةـ)ـ وـهـذـاـ الإـلـمـامـ هـوـ مـنـ كـبـارـ تـلـامـذـةـ أـبـيـ حـنـيفـةـ رـحـمـهـ اللهـ وـقـدـ التـقـىـ بـهـ إـلـمـامـ الشـافـعـيـ وـأـخـذـ عـنـهـ وـاسـتـفـادـ مـنـهـ.

ومن مؤلفات أبي حسان رحمه الله:

مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية

الإسلام وعلاقته بالشائع الآخرى

حقوق الإنسان في الإسلام خلال الحروب والمنازعات

تحقيق تفسير البغوي بالاشتراك مع الشيخ سليمان الحرش

أثر العقيدة الإسلامية في اختفاء الجريمة، وغير ذلك من المؤلفات والتحقيقات والبحوث، والحقيقة هناك خشية من أن يكون من طبيعتنا أن لانقدر الإنسان إلا بعد وفاته، وكما يقول المثل الإنكليزي: لاتقاد الشجرة قياساً دقيقاً إلا بعد أن تقطع. رحم الله أبا حسان ورحم الله شهداء سوريا وأبطالها.

المصادر: